(٥٠،٤٩)

الْحَكَمُ الْحَكِيمُ ﷻ

جاء في «سنن النسائي» عن هانئ: أنه لما وفد إلى رسول الله ﷺ سمعه (أي: الوفد)، وهم يكنون هانئًا: أبا الحكم؛ فدعاه الرسول ﷺ فقال: «إِنَّ اللهَ هُوَ الحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الحُكْمُ، فَلِمَ تُكْنَّى أَبَا الحَكَمِ؟»، فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني، فحكمت بينهم؛ فرضي كلا الفريقين؛ فقال رسول الله ﷺ: «مَا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا! فَمَا لَكَ مِنَ الوَلَدِ؟» قال: لي شريح، ومسلم، وعبد الله، قال: «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟»، قلت: شريح، قال: «فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ»[حديث صحيح].

من أسماء ربنا ﷻ: (الحَكَمُ وَالحَكِيمُ)، قال الله ﷻ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾[آل عمران:٦]، وقال ﷻ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ۝٦٢﴾ [الأنعام:٦٢].

"والحَكيم له معنيان:

الأول: الَّذِي أحكم الأشياء وأتقنها، والله ﷻ حكيم؛ لأنه أحكم أقواله وأفعاله؛ فأقواله وأفعاله صواب كلها، بلغت غاية الإتقان.

ومن الإتقان فيها الذي هو غاية الحكمة: وضعه كل شيء في موضعه؛

فقد دبر خلقه أحسن التدبير، وصنع مخلوقاته أحسن الصنع، فلا يدخل في تدبيره وتقديره خلل، ولا يعتري صنعه نقص أو قصور، ولا يقع في أفعاله زلل ولا خطأ، وصدق الله تبارك وتعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[النمل:٨٨].

وكما أحكم خلقه تبارك وتعالى أحكم آيات كتابه -وهو: القرآن الكريم-؛ فقال جل جلاله: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾[الحج:٥٢]، ووصف كتابه بأنه حكيم: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾[لقمان:٢].

والمعنى الثاني للحكيم: أنه تبارك وتعالى الحكم والحاكم بين عباده، فالله عز وجل هو الحكم والحاكم بين عباده، أي: يقضي بينهم، ويفصل بينهم بشرعه.

وقد اختص نفسه بالحكم؛ فلا يجوز لأحد أن يتعدى على ما اختص به نفسه، فالله عز وجل قال: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾[الأنعام:٥٧]، وقال عز وجل: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾[الأنعام:٦٢]".

واتخاذ الله حكمًا وحاكمًا يكون بتحكيم كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في حال الاختلاف؛ فالله قال: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[الشورى: ١٠].

والله عز وجل هو المستحق لأن يكون حكما بين عباده؛ لأنه ربهم وخالقهم

ومعبودهم، ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾[الأنعام:١١٤].

وربنا أحكم الحاكمين، فهو ﷻ العالم بكل شيء، والذي يعطي كل مسألة الحكم الذي يناسبها؛ فالله ﷻ قد قال: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾[يونس:١٠٩].

والمؤمن لا يكون مؤمنًا حتى يكون مسلمًا لشرع الله، محتكمًا إليه، مستسلمًا لما جاء فيه؛ فالله ﷻ قد قال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[النساء:٦٥].

ولا فلاح لأمة تدعي الإسلام إلا بتحكيم شرع الله.

❐ مكافأة من الحكيم..

ومن رُزق الحكمة فقد رُزق خيرًا كثيرًا، والله يؤتيها من يشاء من عباده، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾[لقمان:١٢]، وجميع الأنبياء قد أُعطوا الحكمة وتفاضَلَ بعضهم على بعض فيها.

جاء في «الصحيحين»: أن رسول الله ﷺ قال: «كَانَتِ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ لِصَاحِبَتِهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، وَقَالَتِ الأُخْرَى: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ.

فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ ﷺ؛ فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى، فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ ابْنِ دَاوُدَ ﷺ فَأَخْبَرَتَاهُ؛ فَقَالَ: ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَهُمَا.

فَقَالَتِ الصُّغْرَى: لاَ تَفْعَلْ -يَرْحَمُكَ اللهُ!- هُوَ ابْنُهَا؛ فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى».

❐ اطمئن!

وتذكر: أن لله الحكمة البالغة؛ فلا يعطي إلا لحكمة، ولا يمنع إلا لحكمة، واختيار الله لك خير من اختيارك لنفسك، ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾[الأحزاب:٤٣].

قال سفيان الثوري: "منعه عطاء؛ وذلك أنه لم يمنع عن بخل ولا عدم؛ وإنما نظر في خير العبد فمنعه اختياراً وحسن نظر"، فربما تطلب ما لا تحمد عاقبته، وربما كان في حتفك!

قال ابن مسعود ﷺ: "إن العبد ليهم بالأمر من التجارة والإمارة حتى ييسر له، فينظر الله إليه؛ فيقول للملائكة: اصرفوه عنه، فإنه إن يسرته له أدخلته النار؛ فيصرفه الله عنه، فيظل يتطير يقول: سبقني فلان، دهاني فلان، وما هو إلا فضل الله ﷻ".

وروي عن بعض السلف أن رجلاً كان يسأل الله الغزو، فسمع هاتفاً في المنام: "إنك إن غزوت أُسِرت، وإن أُسِرت تنصرت!"، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا

تَعۡلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ [البقرة:٢١٦] .

تَبَــارَكَ فَهُــوَ اللهُ جَــلَّ جَلاَلُــهُ   جَـوَادٌ كَـرِيمٌ كَامِـلٌ لاَ يُمَثَّـلُ

حَكِيم فَيَقْضِي مَا يَشَاءُ بِحُكْمِهِ   حَلِيمٌ فَلاَ يَخْشَى فَوَاتًا فَيَعْجَلُ

❑ إيـاك!

ثم إياك أن تسيء الظن بالله إذا خفيت عليك الحكمة، وانسب الجهل إلى نفسك! فإن العقول قاصرة عن مطالعة حكمته، فالملائكة –مع قربهم من الله وعلمهم بجلاله وقدرته– لم يعلموا حكمته في إنزال آدم إلى الأرض؛ فقالوا: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة:٣٠].

فكن مع الله صامتًا عند مجيء قدره وفعله؛ حتى يريك ألطافًا كثيرةً.

قال عمر رضي الله عنه: "لو كشفت لنا حجب الغيب ما اختار أحدنا لنفسه إلا ما اختاره الله له".

في صلح الحديبية يأتي عمر رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال: يا رسول الله! ألسنا على حق وهم على باطل؟!

قال: «بَلَى».

قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟!

قال: «بَلَى».

قال: ففيم نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟!

فقال: «يَا ابْنَ الخَطَّابِ! إِنِّي رَسُولُ اللهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللهُ أَبَدًا»؛ فأنزل الله سورة (الفتح)، فعلم الناس أن الصلح: فتح. [أخرجه البخاري ومسلم].

رفعت الأقلام، وجفت الصحف، وقضي الأمر، وكتبت المقادير؛ ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١﴾ [التوبة:٥١].

والله أرحم الراحمين، وهو خير الحاكمين؛ فأبشر بفرج عاجل؛ فبعد الدمعة بسمة، وبعد الخوف أمن، وبعد الفزع سكينة، ولكن عليك بتقوى الله.

قال الألوسي: "من اتقى الله سبحانه وتعالى تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه، وانكشفت له دقائق الأسرار حسب تقواه"، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠﴾ [آل عمران:١٣٠ و٢٠٠].

اللهم يا أحكم الحاكمين! افتح علينا أبواب حكمتك، ورضنا بما قسمت لنا؛ فأنت العليم الحكيم.